



دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة سبها- كلية الآداب

قسم التاريخ

بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول علي درجة الليسانس في التاريخ
بغنوان:

أحمد باشا القرمانلي

إعداد الطالبة:

ثريا سليمان عمر زيدان

إشراف:

د. سالم فرج

العام الجامعي

2023/2022

سورة الجمعة

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ﴾

سورة الجمعة الآية (2)

الإهداء و الشكر

بكل فخر أهدي تخرجي

اهدي هذا الجهد المتواضع

الى من مهد طريق العلم لي الى من انار درب علمي بنور لا ينطفئ العزيز الذي
سار في كل درب وفي كل طريق حتى وصولي الى هنا الى ملهمي ومعلمي الأول

((أبي))

الى مصدر الأمان الذي استمد منه قوتي الى نور عيني وحظي الجيد وفوزي
وفخري.

إلى من كانت الداعم الأول لتحقيق طموحي الى من كانت ملجأ يدي اليمنى في
دراستي ... الى من ابصرت بها طريق حياتي واعتزازي الى القلب الحنون
الى من كانت دعواتها معي

((أمي))

إلى من كانت تحمل معي العناء والذي امدني بالأمان والرجاء والمساعدة
على إتمام هذا البحث.

(اخوتي واخواتي الأعزاء)

افتخر بأني إحدى طالباتك افتخر بكل إنجاز معك افتخر لأنك معلمي شكراً على
عطائك الدائم كلمات الثناء التي لا توفيك حقك ستظل بصمة لا تنسى

د. سالم فرج

فهرس المحتويات

رقم	الموضوع	الصفحة
1	القرآن	أ
2	الإهداء و الشكر	ب
3	قائمة الفهرس	ج
4	المقدمة	1
5	منهج وطريقة البحث	1
الفصل الأول: الأسرة القرمانيية ووصول احمد باشا للحكم		
6	المبحث الأول: العوامل التي مهدت لقيام الاسرة القرمانيية	3
7	المبحث الثاني: الأسرة القرمانيية وتوليها حكم طرابلس الغرب	7
8	المبحث الثالث: تولى أحمد باشا القرمانيي حكم الأسرة القرمانيية	10
الفصل الثاني: علاقة أحمد باشا الداخليية		
9	المبحث الأول: علاقة أحمد القرمانيي بالدولة العثمانيية	16
10	المبحث الثاني: اهتمام أحمد القرمانيي بالشؤون الداخليية.	24
الفصل الثالث: سياسة أحمد باشا الخارجيية		
11	سياسة أحمد باشا القرمانيي الخارجيية مع الدول الأوروبيية	35
12	سياسة أحمد باشا مع فرنسا	35
13	سياسة أحمد باشا مع إنجلترا	41
14	سياسة أحمد باشا مع مالطا	42
15	الخاتمة	43
16	قائمة المصادر والمراجع	44

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، سبحانه الله لا إله إلا هو، نحمده ونشكره ونشهد أنه لا إله إلا هو سبحانه وتعالى ونشهد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله.

تناولت هذه الدراسة شخصية مهمة كان لها تأثير في تاريخ ليبيا وهي شخصية (أحمد باشا القرماني).
أحمد القرماني (1686-1754) كان انكشاريا أسس الأسرة القرمانية في إقليم طرابلس أو طرابلس بين عامي (1711-1835) أو ليبيا الحالية، ليحكم بين عامي 1711-1745 كأول باشا قرماني لطرابلس، في بدايات القرن الثامن عشر بدأت الدولة العثمانية في فقدان قبضتها على ممتلكاتها، قد كان أحمد القرماني انكشاري وضابط من سلاح الفرسان قام بقتل الحاكم العثماني وتولى مقاليد الحكم في 1711، وبعد اقناعه العثمانيين بقبوله كحاكم، أعلن أحمد نفسه كباشا جاعلا حكمه نظاما وراثيا، ورغم هذا فقد عانت المملكة من الصراع الداخلي، لتنتهي السلالة القرمانية لاحقا بعد قرن حيث استعاد العثمانيون السلطة.

ونتمنى أن نكون قد وفقنا في كتابة بحث شامل لكل المعلومات الخاصة بهذا الموضوع وأن نكون عند حسن ظنكم، منتظرين أي اقتراحات جديدة وأي تعديلات يمكننا القيام بها وأي ملاحظات لوضعها في الاعتبار عند تقديم أي بحوث علمية أخرى ونطور من أنفسنا إلى الأفضل.

منهج وطريقة البحث:

يتكون منهج البحث (وصفي) يعتمد البحث علي جمع المعلومات، وذلك يتجسد في استخدام الأدبيات لبناء الإطار النظري، والمقالات والمجالات والرجوع إلى مراجع ومصادر عن القرماني، وكتابة اسم المصدر ورقم الصفحة والطبعة أن وجدت.

الفصل الأول

الأسرة القرمانية ووصول احمد باشا للحكم

المبحث الأول: العوامل التي مهدت لقيام الاسرة القرمانية.

المبحث الثاني: الأسرة القرمانية وتوليها حكم طرابلس الغرب.

المبحث الثالث: تولى أحمد باشا القرماني حكم الأسرة القرمانية.

المبحث الأول: العوامل التي مهدت لقيام الاسرة القرمانلية:

ب وفاة درغوٲ باشا سنة 1563م بدأت مرحلة جديدة في تاريخ ليبيا، حيث تعاقب علي حكمها العديد من الولاة، فكسدت التجارة وكثر الظلم و أرق كاهل المواطنين بالضرائب، وسيطر الجند على زمام الأمور في البلاد فلم يعد لواليها أي نفوذ أو سلطان⁽¹⁾.

وفي هذا الجو المبلد بالغيوم، المليء بكافة الاحتمالات لاح للناس شعاع من الأمل فتمسكوا به أملاً في الخلاص مما هم فيه، ففي سنة 1587م وفي بلدة تاجوراء ظهر يحيي بن يحيي السويدي وادعي بأنه المهدي المنتظر و بأنه بعث لخلاص الناس مما هم فيه من ضيق وتعد لحدود الشرع الشريف، فالتفت الناس حوله وأعلنوا الولاء له لا تصديقا لما ادعاه الذين يعيشون. استطاع يحي أن يحقق الكثير من الانتصارات على الجيش العثماني و اتسعت ثورته فشملت المناطق الجبلية، وغيرها من المناطق حاول السلطان العثماني أن يفرق بين الثائر وأتباعه من زعماء القبائل فأرسل لهم رسالة أعلمهم فيها عن زمن خروج المهدي وأخبرهم بأن هذا الزمن لم يحن بعد.

وعلي ذلك فإن ادعاء هذا الشخص لا أساس له من الصحة، وإنما نشأ نتيجة لضعف السلطة والنفوذ، ثم ناشدهم بالابتعاد عنه والتعاون مع أمير الأمراء بالإيالة للقضاء عليه وعلى دعوته، وباطلاع أنصاره على حقيقته أخذوا يبتعدون عنه، وضعف نفوذ يحي بعد أن أرسل له السلطان العثماني أسطولاً للقضاء عليه وعلى ثورته. وكانت نهايته سنة 1589م عندما قبض عليه الشيخ ابن نوير شيخ قبيلة المحاميد، لم تستطيع ثورة يحي، ولا الثورات التي تلتها، أن تضع حداً لظلم الولاة،

(1) زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، د ط، بيرو، دار النهضة العربية، 1975م، ص414-415.

فهذا محمد باشا الساقرلى الذي تولى حكم البلاد ما بين 1632م - 1649م لم يسلم من ظلمه حتى الموتى، ففي عهده كانت هناك ضريبة على الموتى، فإذا توفى الشخص فإنه يؤخذ سدس ماله كفريضة وسلمة لجند الباشا فقتلوه.

هذا عثمان باشا الذي خلفه، أحترق كل انواع التجارة مع الخارج فأصبح هو المستورد الوحيد، فكسدت التجارة وبكسادهما كسدت الأسواق، وأخذ الكثير من التجار في مغادرة المدينة خوفاً على أموالهم من الضياع، كما سيطر الجند على زمام الامور في البلاد، حتى أصبحت كلمتهم هي القانون وإراداتهم هي الشريعة، وأصبح الولاة كالدمية في ايديهم يحركونها كما يشاؤون ، لقد تفاعلت هذه العوامل جميعها، فكانت اللبنة الأولى في أساس قيام الأسرة القرمانية حيث سئم الأهالي الاضطراب والخوف، وعدم الطمأنينة على الاموال و الاعراض⁽¹⁾.

وينبغي البحث عن الأسباب التي مكنت الاسرة القرمانية من السلطة في تلك الطاقة التي توفرت لأحمد باشا القرماني، الذي استطاع أن يواجه خصومه ويصمد لهد، ويقضى قضاءً تاماً على كل محاولات التمرد والعصيان، بالإضافة إلى ضعف الجند من الاتراك والانكشارية الذين وجه اليهم أحمد باشا الضربة القاضية الأخيرة.

لقد نشأ في طرابلس وضواحيها خلال قرنين من السادة التركية عنصر بشرى جديد وقد أصبح القولوجية خلال القرن الثامن عشر عنصراً غالباً، له وزنه القوى في الحياة العامة، إذا يتفوق على الاتراك بقربته إلى العرب الذين يكونون الأغلبية العظمى من السكان بطرابلس والساحل والمنشية؟ ويتميز أيضاً بقدرته على تفهم مشاعر السكان المحليين وحاجتهم؟ غير أنه ينبغي عدم المبالغة في تقدير هذه

(1) ابن إسماعيل، عمر علي، انهيار حكم الأسرة القرمانية في ليبيا، د ط ، دار النشر، مكتبة الفرجاني،

الناحية، فقد ظل القرمانيون، أنفسهم في نظر سكان طرابلس، في ذلك الوقت وخلال طغاة منتزعين للسلطة.

غالب هو العنصر القولوغلي⁽¹⁾ المنحدر من سلالة الأتراك المتزوجين من النساء المحليات، وعلى كل حال فإنه لم يكن مما يتفق مع طباع سكان طرابلس الغرب المختلفين الذين تتكون أغليبيتهم من البدو المنقسمين المتناحرين أن يكون لديهم نوع من شعور التضامن العام، والارتباط بأسرة واحدة، وعلى ذلك فإن الانصهار والاندماج بين القولوغلية والسكان المحليين قد أخذ دائما يزداد ويتطور في نفس أسرة القرماني، فبالإضافة إلى التزاوج فإننا نراه في المراسم الحكومية، وسير الحياة في البلاط. ففي الوقت الذي كانت فيه اللغة الرسمية المستعملة في عهد أحمد باشا هي التركية؟ بدأ في عهد على باشا إدخال اللغة العربية التي أصبحت لغة البلاط والدوائر في عهد يوسف باشا، ويمكن أن يقال عهد الأخير بأنه كان سيداً طرابلسياً تولى السيادة على طرابلس، وقد كان في وسعه أن يمنح لسلالته حكومة مضمونة مسالمة لولا طغيان السنوات الأخيرة والغير الجامعة، وطموح الحكم الذي نكب الأسرة القرمانية بالصراع بين الأخوة.

وأخيراً لو لم يتم احتلال فرنسا للجزائر عام 1830م فيلقت نظر تركية إلى آخر الأجزاء من الأراضي الأفريقية التي يمكنها أن تستعيد فيها سلطتها المباشرة، أما موقف الباب العالي من القرمانيين، فيمكن فهمه على ضوء انشغال الدولة العثمانية في ذلك الوقت، ببعض الأحداث الداخلية، ثم إلتزامها بالدفاع ضد التهديد الروسي، فاعترفت بالأمر الواقع، وخلعت على سادة طرابلس الجدد، التعيين الذس سبق أن خلعت على غيرهم مثل محمد باشا وعثمان باشا، بالإضافة إلى أن الاعتراف بولاية

(*) أطلق هذا اللقب على الأبناء الذين كانوا نتيجة زواج الانكشارية من النساء المحليات، وفي عهد الأسرة القرمانية أطلق للدلالة على جميع الذين كانوا يؤدون الخدمة العسكرية

الشمال الأفريقي "بربريا" كان يقترن في الغالب بهدايا سخية تقدم إلى السلطان والحاشية، فقد سلكت ولايات تونس وطرابلس طريق تلك الظاهر التي أسفرت عن تكوين ولايات (باشويات) ذاتية وراثية.

وبرزت بشكل ظاهر في أطراف الامبراطورية العثمانية عند نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، فعلي باشا في (جانينا) بألبانيا الجنوبية، و أبو شاتلي في البانيا الشمالية، ومحمد علي بمصر .

وقد بذل الباب العالي في عام 1820م محاولة قوية للتماسك استطاعت أن تقى وتؤخر تفكيك الإمبراطورية العثمانية ، ففي إطار هذه المحاولة عادت إلى طرابلس لتعيش مدة ستة وسبعين عاما أخرى من 1835م إلى 1911م⁽¹⁾.

(1) انورى روسى، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تعريب خليفة التليسى، د ط، بيروت- لبنان، دار الثقافة، 1974م، ص 272-273.

المبحث الثاني: الأسرة القرمانيّة وتوليها حكم طرابلس الغرب:

بعد أن تعرفنا على أصل هذه الأسرة، وكيف استولت على طرابلس وحكمتها واستقرت بها، استرسل الآن في الكتابة عن هذه الأسرة، وعن الأحوال السياسية والاقتصادية بطرابلس التي عاصرت وجود هذه الأسرة.

اتجهت طرابلس في عهد القرمانيّة نحو البحر تجد فيه رزقها، وتؤمن الطريق لسفنها، وتجاهد سفن الدول الأوروبيّة التي كانت مشغولة بالتنافس الاستعماري، ومنصرفه الى مشاكلها الخاصة. فاضطرت أمام تحدى الأمراء القرمانيين لها، وتعرض بحريتهم سفنها إلى عقد معاهدات لتنظيم العلاقات البحرية والتجارية فيما بينها، وبين ولاية طرابلس الغرب لتؤمن سفنها، وتعهدت لها بدفع إتاوات سنوية وهدايا قنصلية عند تعيين كل قنصل جديد. ومن بين هذه الدول: إنجلترا وفرنسا واسبانيا وهولندا وغيرها.

جاء اسم ((طرابلس)) من تعريب الاسم اليوناني TRIPOLIS الذي كان يطلق على منطقة المدن الثلاثة وأضاف العرب كلمة ((الغرب)) للاسم تمييزاً له عن ((طرابلس الشام)) وإشارة إلى وجود الموقع في المغرب.

ومع حرص هذه الدول على إرضاء القرمانيين، فإن هؤلاء لم يستتفوا من المطالبة بزيادة هذه الإتاوات والهبات كلما أعوزتهم الحاجة إلى المال، بل كانوا يرسلون مبعوثيهم لتلك الدول للمطالبة بهذه الأموال، حتى ضجت الدول من كثرتهم وأخذت تعمل على تفاوى ارسالهم بالإسراع بدفع ما يطلبه القرمانيون.

ومع كل ذلك فقد كانت معاملتهم للقناصل حازمة، وتقوم على وجوب مراعاة حرمة البلاد، وتقاليدها ومظاهر الخضوع لحكمها. وكان هناك في طرابلس فضلاً

عن التجارة مصدرا هاما من مصادر ازدهارها واثراء الباشا وبلاطة فيها، وهذا المصدر هو المغامرات والغزوات البحرية.

فقد اضطرت أعمال الغزو، والتي قام بها المغامرون الطرابلسيون الدول الكبرى الى ان ترسل سفنا حربية الى طرابلس للحصول على تعويض من الأضرار التي وقعت لسفنهم التجارية، وكانت تلك الحملات في بعض الأحيان مجرد مظاهرات عسكرية بسيطة لإظهار قوتها، وتضطر في أحيان أخرى إلى ضرب المدينة بالفتنابل لكي تفرض عليها ابرام معاهدات صلح تتضمن حرية الملاحة والتجارة، وتأمين إقامة رعاياها وتعيين قناصل لها في البلاد⁽¹⁾.

أما بالنسبة للأحوال السياسية التي سادت في طرابلس أثناء حكم هذه الأسرة، وبالتحديد في السنوات التي سبقت حكم أحمد القرمانلي، فقد تمثلت في الانحطاط والتأخر، حيث ضعفت قوة البحرية خاصة أمام السفن الإنجليزية والهولندية والفرنسية، وقام الأسطول الإنجليزي عام 1675م بالإغارة على ميناء طرابلس، وحاصرها وضرب التحصينات بها، وحرق جزءاً من أسطول المجاهدين وأطلق العبيد الانجليز، ثم قام الأسطول الفرنسي بعد ذلك بضرب التحصينات، وحرق جزءاً من أسطول المجاهدين واطلاق سراح جميع العبيد.

ومما يدل على الفوضى السياسية في طرابلس انه تولى أربعة وعشرين دايا على حكمها بين سنة 1672م و 1711م ويعلق ((دوكابرنیکا)) قائلاً: ((أنها كانت أقرب الى الجمهورية منها الى المملكة، والمفروض أن حكم الدايا ابدى، لكنه لم يدم فعليا أكثر من عام)) ويقول أيضا: (بأن القضاء كان سيئاً؟ ويصدر الأحكام جزافاً).

(1) ميكاكي، رودلفو، مرجع سابق، ص 20.

وجاءت الهبة المناسبة، والتي باركها الناس عام 1711م على يدي أحمد باشا القرماني الذي نشأ في طبقة من الأتراك الذين تصاهروا مع سكان العرب، وعرب شمال أفريقيا⁽¹⁾.

من هنا طرأ تطور كبير في تاريخ البلاد، ذلك باستلاء أحمد باشا القرماني على السلطة ووافق السلطان على أن تكون الولاية وراثية في أسرة القرماني نفسه، وهكذا حكمها القرمانيون وجعلوا وراثتها فيما بينهم، إلا أن أفراد هذه الأسرة لم يكونوا من الرجال الذين يوثق بهم، ويخلصون للوارث الجديد، حيث كان الطمع في كرسي الحكم مثاراً لمنازعات داخلية كثيرة أرهقت الطرابلسيين ومزقت وحدتهم، ويمكن اعتبار وتولي أحمد باشا القرماني نقطة انتقال في السيطرة على الولاية، من يد الأتراك إلى يد العرب، سكان شمال أفريقيا وهؤلاء هم الذين تشير اليهم الكتب التاريخ الأوروبية، باسم ((مورز)) أي المغاربة⁽²⁾.

وكان توليه حاكماً على البلاد نقطة تحول في تاريخها إذ انتشلتها من الفوضى التي سادتها فترة طويلة، خاصة بعد أن وجد التأييد والمناصرة من الأهالي.

⁽¹⁾ جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تعريب الميار، عبدالحفيظ، البازوري، أحمد، ط1، طرابلس - ليبيا، مكتبة الفرجاني، 1972م، ص 97- 98.

⁽²⁾ تكرر - جليلين، مرجع سابق، ص 351- 35.

المبحث الثالث: تولى أحمد باشا القرماني حكم الأسرة القرمانية:

ولى أحمد باشا القرماني في صحوه يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادي الآخرة سنة 1123هـ، وكان مؤثرا للعدل والأنصاف لين العريكة، وقد أتاح فرمان التولية من أمير المؤمنين ((السلطان أحمد خان الثالث)) بتقليد الولاية مع توجيه رتبة بكليكي*، فاستقر به امره، وتقررت ولايته، ونفذت أوامره، ودانت له القاصية⁽¹⁾.

وتمت توليته بانتخاب الجند، لما تسلم أحمد باشا زمام الحكم كتب رسالة للعمال ينبئهم بمباشرة في إدارة البلاد، ويأمرهم بالتمزام العدل والمحافظة على الحقوق العامة على منهج الشريعة وتشكيل هيئة علمية تتولى الاستماع للمرافعات والقيام بالتحقيقات الشرعية، عمد أحمد باشا الى الحصول على فرمان ((مرسوم)) التولية كي يتمكن من إدارة الحكم بصورة رسمية، وتم ذلك بعد ان اعلن ولاءه للسلطان، وقد مكن مركزه بفضل الانتصارات التي احرزها، ثم عمل شيمة بكليكي: تعني بك البكوات وكان يعنى بشؤون الولاية، ثروته، ونشر صيته بعد ان اعلن أميراً على طرابلس⁽²⁾.

اصبح القرماني قائدا للفرسان، واشتهر بطموحه ونشاطه، ونال شيئاً لم ينله حاكم من قبله وهو التأييد الكامل من الجيش والشعب، وجعل أحمد القرماني من نفسه حاميا للمجاهدين⁽³⁾.

(1) النائب، أحمد بك الانصاري، مرجع سابق، ص 285 - 286.

(2) سامح، عزيز، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، بدون طبعة ودار نشر، بيروت، 1969م، ص ص 144 - 146.

(3) رايت، جون، مرجع سابق، ص 97 - 98.

لقد هيا القدر ظهور أحمد القرماني على رأس الولاية، بعد أن استغلها أعواما طويلة بعض الولاة الذين تعاقبوا عليها، بمساندة احزابهم، أو بمبادراتهم الشخصية، وتنافسوا على العلى بلوغ السلطة والسيادة عليها مخاطرين من اجل ذلك بحياتهم، وكانت الولاية- كما اسلفت- تنتظر زعيما يستطيع بيده القوية، وتوجيهاته السديدة، اعادتها الى سيطرتها الماضية⁽¹⁾.

وكان احمد القرماني هو الرجل المطلوب للنهوض بهذه المهمة، كان على دراية تامة بأوضاع البيئة المحلية، وتمرس تام بالقواعد التي تنظم طريقة التعاقب على الحكم، وكان يجد في طموحه وقوته وشجاعته، وشعبيته سندا قويا لإدراك هذا المنصب ودون انكار للسلطة العليا للسلطان على الولاية، رغب في استقلال دولة طرابلس، وضمنان ومن الأسباب بالمباشرة التي دفعت بأحمد باشا الى تولي حكم البلاد المؤامرة التي دبرها الداوي محمود أبو موسى ضد أحمد باشا، حيث أنه بعد تحالف أحمد باشا مع محمد بك بن الجن ضد الأتراك، وضد العنصر الوطني البربري العزلي، وقد أحمد باشا نفسه في خطر عنما اتفق محمود أبو موسى مع العناصر الوطنية وقتل محمد ابن الجن في يوليو 1711م، وتولى السلطة مكانه.

ولم تتأخر مظاهرة العداوة بين محمود ابي موسى والقرماني في الظهور، نتيجة لذلك امر محدود بعد أسبوعين من توليه السلطة أحمد القرماني بالذهاب ضمن بعثة الى غريان⁽²⁾، بحجة ابلاغ قبائل الدواخل بتوليه الحكم، غير أن أحمد، وهو في طريقه الى تلك المدينة، خطرت له فكرة فتح الرسالة والاطلاع على محتوياتها، ربما بدافع حب الاستطلاع أو بدافع الحذر والريبة.

(1) برنبا، كوستاتريو، مرجع سابق، ص 256 - 257.

(2) روسى، اتورى، مرجع سابق، ص 275 - 267.

وكم كانت نغمته شديدة عندما اكتشف أنها تتضمن أمراً رسمياً موجهاً إلى شيخ غريان يقضى بقتله هو بمجرد وصوله إلى هناك، ولم يكن أحمد القرماني في الماضي ليأبه بهذا الضرب من الأعمال الغادرة، فقد اعتاد عليها لكثرة احتكاكه بأخلاقيات أصحاب السلطة في البلاد، لكن الأمر في هذه المرة مختلف فهو يمسه شخصياً، فامتلاً قلبه حقداً أو ضغينة محمود أبي موسى، واقسم منذ تلك اللحظة ان تكون نهاية هذا الأخير على يده، فما كان منه الا ان استبدل هذا المكتوب بمكتوب اخر حرره بخط يده، على اعتبار انه بخط الداى وباسمه، وتفيد صيغة الرسالة الجديدة بأن أهالي غريان قوم مشاغبين، وأن الداى الجديد يريد منهم ضمانات تكفل خضوعهم له، ويطلب من شيخهم أن يبعث اليه بدون ابطاء عدداً من أكابر المنطقة وأعيانها، كي يحتفظ بهم كرهائن.

وعندما وصل أحمد القرماني الى غريان، فإنه لم يستعجل أمر تسليم الرسالة حال وصوله، لأنه لو فعل لأقدم الاعراب على القصاص منه على الفور، وكان هدفه اطلاعهم على محتوى الرسالة المزورة- لصالحه هو.

وعندما تحلق حوله أولئك القوم الذين كانوا يحترقون شوقاً لمعرفة آخر تطورات الأحداث في مدينة طرابلس، وأخذوا يصبون عليه سيلاً من الأسئلة عن آخر ما وقع فيها. فأخذ يرد على استفساراتهم بذكاء بواسطة إجابات يشتم منها أنه يتكهن بحدوث قلاقل جديدة في القريب، وذلك- بحسب قوله- بسبب النزاعات الاستبدادية الميالة الى الظلم والجور، وحب سفك الدماء، والتي أخذ مسلك الداى الجديد وتصرفاته توحى بها منذ بداية الفترة القصيرة التي استلم فيها السلطة اغتصاباً بعد اغتياله لحمية.

وأردف أحمد القرماني قائلا: ((لقد اتخذت قراري، فإن لدي أسباب شخصية بالغة الخطورة تجعلني أخاف على رأسي .. انني لن أبقى هنا .. وأنا عازم على الهجرة الى تونس أو الى مصر))⁽¹⁾.

ويمكننا أن نتصور الأثار التي تركتها مثل هذه العبارات في نفوس هؤلاء البدو، من أهالي منطقة غريان، وعندما شعر احمد باشا أنهم قد أخذوا يشاركونه مخاوفه- وهذا هو مقصده- فإنه سلمهم حينئذ رسالة الداوي المزورة، وعندما فروغوا من تلاوتها، صدرت عنهم صرخة سخط جماعية، وأعاد أحمد القرماني على مسامعهم ما قاله من قبل، حيث أردف: ((الم اقل لكم؟!.. ها انتم تقفون الآن على حقيقة الوضع بأنفسكم.. لم يعد أمامكم سوى إقامة مآتم الرهان الذين ستبعثون بهم إلى طرابلس؟ سلفا. أما بالنسبة لي، فإنني أرفض أن اصطحبهم إلى هناك، وحيث أن في موقفي هذا خطرا على حياتي، فإنني أرجوكم أن تعينوا من يقوم بحراستي، فإنني ذاهب منذ الآن للاستجارة ببلد آخر، وأقسم بأن قدمي لن تطأ أرض طرابلس))⁽²⁾.

وأنكر الغريانيون عليه ذلك قائلين له ((أبدا.. إن مكانك بيننا، ونحن نعلن تمردنا جهارا، فسر على رأسنا أنك أنت الذي سيكون دايا علينا، وستخلف محمود أبا موسى بقوة سواعدنا))، وعلى الفور تم ايفاد مبعوثين إلى جميع القبائل الأخرى لإبلاغهم بما انعقد عليه عزم الغرانية، وسرعان ما جادت تلك القبائل بموافقتها، وما كان منها إلا أن دعت أحمد القرماني إلى تسلم مقاليد الحكم، ولم يمض أسبوع واحد حتى سار أحمد القرماني ((مرشح العرق الغربي)) نحو مدينة طرابلس تصحبه قواته الجرارة.

(1) فيرو، شارل، مرجع سابق، ص 377.

(2) فيرو، شارل، مرجع سابق، ص 378.

وبادر إلى ايفاد مبعوث يسبقه إلى محمود ابي موبس، وحمله إليه رسالة لا تتضمن سوى هذه العبارة .. ((إنني على وشك أن أنزل بك ما أردت أن تنزله بي))، فما كان منه إلا أن شنق نفسه وكانت، البيعة لأحمد باشا القرماني واليا على البلاد⁽¹⁾.

⁽¹⁾ابن إسماعيل، عمر علي، مرجع سابق، ص 35.

الفصل الثاني

علاقة أحمد باشا الداخلية

المبحث الأول: علاقة أحمد القرماني بالدولة العثمانية.

المبحث الثاني: اهتمام أحمد القرماني بالشؤون الداخلية.

المبحث الأول: علاقة أحمد القرماني بالدولة العثمانية:

تمثلت علاقة أحمد باشا بالدولة العثمانية، بذلك الأمر في حصوله على فرمان التولية، ولكن خليل باشا كان أسرع منه في الحصول على ذلك⁽¹⁾. حيث تمت البيعة لخليل باشا حاكما على الولاية حيث أستدعى حماة الذي حضر إلى طرابلس من أجل ذلك سنة 1703م. وكان الداوي الجديد رجلا واعيا، متفتح الذهن بعيدا عن وساوس التعب العنصري، وقد وجد خليل داي نفسه مشغولا، منذ توليه شؤون الولاية بأمر اخماد ثورة انفجرت في غريان، وبعد ان تمكن من توطيد دعائم السلم في الداخل، كان عليه أن يتابع أحداث تونس التي نشأت عند اغتيال مراد بك أمير تونس. ونشأ صراع بين خليل باشا، وبين إبراهيم الشريف الذي دبر اغتيال أمير تونس، انتهى بانتصار خليل باشا وتدعمت مكانته وسلطته لدى الأهالي، وقد عرف بقوته وحزمه، وعدم تراجعته فيما يتخذه من قرارات. وقد نعمت طرابلس خلال 5 أعوام عهد خليل بك بشيء من السلم والاستقرار، وكانت علاقته مع القوة الأجنبية طبيعية، إلا أنه فجأة قامت حركة تمرد، فأفسدت كل شيء. بينما كان خليل باشا غائبا عن طرابلس فانتهز إبراهيم ريس هذه المناسبة، وأثار المدينة. وكان قد عهد بحماية القلعة لحسين نائب خليل باشا، وضيق الحصار عليه، واستمرت الثورة التي انفجرت مساء 21 أكتوبر سنة 1709 تسعة أيام ذهبت المدينة إثناءها ضحية حرب أهلية.

أما خليل باشا الذي أصبح وحده، فقد أخذت تتقاذفه الفلوات وذهب إلى فزان ثم توجه إلى مصر، ومنها إلى القسطنطينية، لتقديم شكوة إلى السلطان ضد المغتصب، والحصول على اللقب الرسمي باشا إلى طرابلس، وشفعت له الأعوام التي قضاها في الحكم، والتي كانت موضوع رضى الجهات المسؤولة في القسطنطينية، فجهز أربع مراكب سلطانية مجهزة، وبادر إلى التوجه إلى طرابلس،

(1) ابن إسماعيل، عمر علي، مرجع سابق، ص35.

حاملا للقب الرسمي باشا على طرابلس. ولكنه عندما وصل لمياه طرابلس، رفض أحمد باشا السماح له بالدخول إلى الميناء، وكان الموقف الذي اتخذاه بعد الاعتراف بممثل السلطان، يمثل إجراء خطيرا، ولكن أحمد باشا جمع الأعيان، ومجلس الدولة وترك لهم مسؤولية الاختيار بين الاثنين وانحازت طرابلس الى الأمير القرماني، وكان على خليل بك أن يقلع ويبحر نحو زوارة، مؤملا أن يجد أنصارا له هناك، مصمما على الدخول إلى الولاية بالقوة، وكان واثقا من مساعدة قبائل الدواخل له، ونزل بشواطئ زوارة، ومعه ثمان مئة جندي، واتجه الى مدينة طرابلس عن طريق البر. ولكن، غدر به أولئك الذين اطمئن اليهم وظهرت أعوانه، ووقع في يد أحمد باشا وقتله، ونوقل رأسه فوق حربة الى طرابلس، ودفن في مقبرة سيدي حمودة، حيث ماتزال هناك لوحة تشير إلى اسمه، وحركته وصار أحمد باشا القرماني وليا على طرابلس⁽¹⁾.

هذه هي العاقبة التي واجهت أحمد باشا قبل حصوله على فرمان التولية، ولكن بعد أن تخلص من منافسيه على حكم الولاية، رأى أحمد باشا أن الوقت قد حان للحصول على موافقة السلطان على ولايته، فأرسل وفدا من أعيان البلاد إلى القسطنطينية ومحملا بالهدايا، وطلب من الوفد شرح أحوال البلاد والأسباب التي جعلت أحمد باشا يتولى الحكم، ثم محاولة تبرير مقتل خليل باشا الذي قال عنه أنه وقع فريسة لكرهية سكان الأقاليم له⁽²⁾، ويظهر أن السلطان لم يقتنع بما قاله هذا الوفد، حيث أنه في يوم 28 يونيو 1712م وصل الى طرابلس محمد باشا المشهور (بيجانيم خوجا) مكلفا من السلطان بالتحقيق في أسباب مقتل خليل باشا وان كان أحمد باشا أظهر له استعدادا للتعاون معه في سبيل أداء مهمته التي كلف بها، إلا أنه في الحقيقة عرقل مهمته حتى اضطر إلى العودة من حيث أتى بدون الوصول إلى نتيجة، ويحدثنا أحمد النائب* عن فشل مهمة محمد باشا (جانم خوجا) فيقول:

(1) برنية، كوستانزيو، مرجع سابق، ص 244، 235.

(2) ابن إسماعيل، عمر علي، مرجع سابق، ص 35.

((وفي يوم الأحد السادس والعشرين من جماد الآخر سنة أربعة وعشرين، قدم محمد باشا للفحص عن مقتل خليل باشا، والوقوف على حقيقة الامر استقبله أحمد باشا بالمزيد من الاعتناء وبالغ في تعظيمه واکرامه كما يجب، وتشبت محمد باشا بالتحقيقات فلم يتيسر له الوقوف على حقيقة الأمر، لأن أحمد باشا اعتنى في الدس عليه، ومنع الناس من الاجتماع به، ثم قفل ولم يتحصل على الخبر الصحيح))⁽¹⁾.

بعد أن عم هذا الخبر في الأستانة، واستدعى المحقق لسفينة القيادة البعض من أهل المدينة للاستفسار عن معلوماتهم ثم أعادهم، وبمجرد تماس أقدام هؤلاء للبر أمر أحمد باشا بنفيهم أو اعدامهم، ولما لم يقدر أحد فيما بعد على الاتصال بالأسطول عاد محمد باشا للأستانة بدون أن يلم بأي شيء عن هذه المسألة⁽²⁾. وبفشل محمد باشا فيما كلف به، وجد السلطان نفسه أمام الأمر الواقع كما كانت عادته دائماً، فلم يجد بدا من الاعتراف به واليا على البلاد سنة 1711م مع منحه لقب أمير الأمراء، وبذلك ضمن أحمد باشا رضا السلطان عنه، وانطلق مطمئناً لتحقيق الأهداف التي رسمها لنفسه، واستمرت علاقته بعد ذلك بالدولة العثمانية هادئة حتى وفاته⁽³⁾. ومن الملاحظ أن هذه العلاقة بين أحمد القرماني والسلطان العثماني قد سادت منذ البداية في طريق الرضى والاستحسان اذ سر السلطان من اعلان أحمد الاخلاص والولاء له، وأكثر من ذلك الهدايا الثمينة التي وأرسلت إليه، فقبل الاعتراف بالقرماني وبولايته، وأرسل اليه بارجتين بكامل اطقمهما ومعداتهما، كانت الأولى تحمل ثلاثين مدفعا أخذت من فرسان مالطة، والثانية أربعين مدفعا

(1) ابن إسماعيل، عمر علي، مرجع سابق، ص35.

(2) سامح، عزيز، مرجع سابق، ص 144 - 145.

(3) ابن إسماعيل، عمر علي، مرجع سابق، ص37.

أخذت من حكومة البندقية، وكان طاقمها مؤلفين برمتها تقريبا من المغاربة الذين استقطبتهم شهرة سيد طرابلس الغرب الجديد إلى سواحل أفريقيا مرة أخرى⁽¹⁾.

أما بالنسبة لموقف الباشا من الانتفاضات الشعبية فإنه بعد قضائه على خليل باشا، وتخلصه من آخر خلايا الانكشارية واجهت أحمد باشا عقبة أخرى ألا أنه تمكن من القضاء عليه تمثلت في قدوم المدعو ((باكير)) وهو احد الباشوات الموفدين من الباب العالي إلى البلاد إلا إنه لم يكن حظه بأحسن مما تقدموه ولم يتمكن حتى من النزول إلى البر حيث كان يحمل معه فرمانا سلطانيا، وكان موفدا للبلاد للحلول مكان جانم خوجة، فطرد حتى دون أن يسمح له بمغادرة السفينة التي جاءت به⁽²⁾.

إثر ذلك اتجه بجهوده للعمل ضد الانتفاضات التي قامت فيما بعد، اذا كان عليه، خلال حكمه الطويل، أن يراقب الأمور بعين يقظة واعية. وان يقود مختلف قبائل الولاية الى الأمن والنظام، بيد حديدة صارمة، يؤازره في ذلك شقيقه الحاج شعبان قائد الجيش، وابنه محمود الذي أسند اليه حكم برقة، وقد استطاع الأمير القرمانلي أن يخرج ظافرا في كافة حملاته ضد مختلف حركات التمرد على سلطته.

نفي صيف 1713م انتفض سكان تاجوراء، بالتحالف مع سكان ترهونة وزحفوا ضد جيش الباشا، فخرج عليهم أحمد باشا، وألحق بالثائرين هزيمة مرة، قرب تاجوراء، ودخل البلدة، واحتل قصرها، وفرض عقوبات مالية باهضة، وترك حكم المنطقة إلى شقيقه الحاج شعبان. ثم انتفض المتمردون من جديد واجبر الحاكم الجديد، على الاجتماع بالقصر والدفاع عنه دفاعا مستميتا، إلى أن هب الوالي لنجدته، وقد مر أحمد على القرية كالعاصفة، ناشراً الرعب والموت والبؤس بين سكان تاجوراء. وأثقلهم بالضرائب، وقتل في رجالها كل نزع إلى الثورة.

(1) ميكاكي، رولفو، مرجع سابق، ص19.

(2) فيرو، شارل، مرجع سابق، ص394.

وفي نهاية 1713م قام حسين القولوغلي بثورة في مسلاتة، وتحالف مع عرب ترهونة الذين يقودهم منصور الترهوني، فنهض لهم أحمد باشا بنفسه فشتتهم وأحرق خيامهم وعاد إلى طرابلس مزهرا بانتصاره⁽¹⁾.

وفي خريف 1718م قام أحمد القرماني بحملة ضد صاحب فزان (محمد ناصر) بعد أن أعلن انفصاله عن تبعيته لباشا طرابلس، ورفض دفع الجزية الباهظة التي كان عليه أن يدفعها. ولم يشأ القرماني عندئذ أن يضيع شيئاً من الوقت، فترك حكومة طرابلس في يد شقيقة الحاج شعبان، ودخل الميدان مع جنوده، وسرعان ما تم له احتلال فزان، وحوصرت مدينة مرزق، واضطر محمد ناصر إلى اتماس الصفح بعد أن تعهد بدفع الجزية، وظهر أحمد باشا بمظهر رحيم وقبل ما قدمه له، ثم عاد إلى طرابلس. وفي سنة 1721م حيكمت مؤامرة بقيادة المدعو ابن الرايس الذي انظم اليه بعض بني علوان، ضد الأسرة القرمانية. ولكن المؤامرة التي دبرت ضد شخص أحمد باشا، قد منيت بالفشل، وقد سقط صريعا في هذه الظروف شقيقة الحاج شعبان بعد أن شنوا عليه غارة أودت بحياته⁽²⁾، فبعث اليهم أحمد باشا العساكر ووقعوا بهم وشتتوهم وهرب ابن الرايس ولجأ إلى اعراب المحاميد وفي سنة 1723م قدم في جموع من المحاميد إلى أرض سرت، وعتوا فيها وفي أهلها فسادا، ولم اتصل خبرهم بأحمد باشا سرح اليهم إبراهيم بك في العساكر وأضاقهم نكال الحرب، وسامهم سوء العذاب، وقبض على أحمد الرايس وسيق إلى الوالي فقتله، بعد أن أنزل به القصاص⁽³⁾.

(1) برنيا، كوستانزيو، مرجع سابق، ص 262.

(2) ميكاي، دودلفو، مرجع سابق، ص 20.

(3) النائب، أحمد بك الانصاري، مرجع سابق، ص 288 - 289.

بالرغم من الانتصارات التي حققها أحمد القرماني، بدا وكأنه قد كتب عليه ألا يكف عن أطفال الفتن والثورات، وانتقامات من الأهالي الذين رفضوا الخضوع، أباح لجنده وأعوانه نهب البلاد التي لم تستجب له مثل القطرون، وكان الجيش الذي أرسل إلى القطرون بقيادة إبراهيم الترياقى قد أصاب غنائم وافرة، اختصها لنفسه، وكان صاحب فزان في ذلك الوقت محمد ناصر الذي توفى سنة 1718م - 1719م فخلفه ابنه أحمد ناصر الذي وجه إليه أحمد باشا سنة 1731م - 1732م حملة سار فيها ابنه محمد بك قائد الفرسان، وابنه محمود على رأس المشاة ثم دعمتها بعد ذلك، بالقائد خليل بن خليل⁽¹⁾. وبمجرد رؤية هذه الحملة المكونة من جيش جرار طلب أحمد ناصر الصلح، فرفض طلبه. فقد كانت أوامر الباشا تقضى بأسر الأمير المتمرد ونقله أسيرا إلى طرابلس.

وحين وصل الى المدينة باعه أحمد باشا بقرشين نحاسيين، وأمره بالعودة إلى مرزق، وحكم المقاطعة، ورافقه الحاج أحمد مصطفى الذي كلف بتهديم أسوار عاصمة فزان ((مدينة مرزق))، ثم شيدت من جديد في عهد محمد القرماني، ویموافقته⁽²⁾.

ومن الانتفاضات الأخرى التي واجهت أحمد باشا أثناء توليه حكم الولاية، الانتفاضة التي قام بها كلا من إبراهيم الترياقى وعلي بن خليل الأدغم قرب مدينة قرب مدينة طرابلس حيث أن أحمد باشا بعد أن اضطر إلى التوجه شخصيا إلى فزان، فإنه ترك أخاه شعبان بك بدله في طرابلس واستندت قيادة الحملة المتجهة نحو برقة لإخماد التمرد الذي قام بها إلى إبراهيم الترياقى، وكان هذا الرجل كول- أوغليا هو الآخر، لذا كان يعتبر نفسه أهلا لتولي حكم البلاد، وندا لأحمد باشا وعندما وجد

(1) روسي، إتورى، مرجع سابق، ص 280.

(2) برنبا، كوستاتريو، مرجع سابق، ص 263 - 264.

إبراهيم نفسه خارج مدينة طرابلس على رأس قوات جرارة، فقد خطرت له فكرة الاستلاء على السلطة. واستطاع كسب علي الأدغم إلى صفه، واتفق الرجلان على أن يصبح أولهما باشا، وأن يصبح الثاني وزير وكاهيته⁽¹⁾، وقد تحرك القائدان المتمردان من برقة نحو طرابلس وأرغما القبائل الواقعة في طريقهما على الطاعة ودفع الضريبة. وقد تمكنا من الاستلاء على تاورغاء وأسر القائد المحلي بها، وحاولا أسر حسين آغا المكلف بجباية الضرائب، ولكنه تمكن من الفرار إلى طرابلس، وواصل السير نحو مدينة طرابلس حتى وصلا مصراته، وبايعهم الكول- أوغلية وأروا لهم يمين الولاء، واستمالا الأهالي إلى جانبهم، واستوليا على البارود والرصاص المخزن بقصر أحمد ((مصراته البحرية)) والمعد للدفاع عن تلك المنطقة ضد هجمات السفن المسيحية، وجمعا إلى صفيهما بعض المشاغبين الذين يدعون معرفة الخبايا، وزحفا على تاجوراء، حيث واجههما هناك فرسان أحمد باشا فشتتوهما.

ثم أعلن أحمد باشا العفو على جميع المتمردين عدا الزعيمين علي الأدغم وإبراهيم الترياقى، وقد فر الأولى إلى مصر، وتاه الآخر في وحشة الصحاري الداخلية⁽²⁾.

وفي 21 فبراير 1721م وقعت حادثة كادت أن تجر إلى عواقب وخيمة، ذلك ان الباشا أحمد كان قد تلقى رسالة من الأسرى الطرابلسيين المحتجزين بميناء (شفينا- فيشيا CIVITA- VECCHIA) القريب من روما وكان من بينهم أحد القضاة، وقد أخبروه في رسالتهم بالتعذيب والاذلال الذي تعرضوا له، وتليت الرسالة على أعضاء الديوان، فرسغان ما تسببت في غضب الطرابلسيين وسخطهم.

(1) فيرو، شارل، مصدر سابق، ص397- 398.

(2) روسى، إتورى، مرجع سابق، ص280- 284.

فتم القبض على الرهبان الأرساليين وتم تكبييلهم بالسلاسل حيث اقتيدوا عبر المدينة وسط جماهير غاضبة، ثم سجنوا في زنانات محفورة في أرضية القلعة، وصدر أمر بإغلاق الكنيسة الارسالية والمستوصف التابع لها. وما أن علم القنصل إكسبالي ((قنصل فرنسا)) بما وقع من هرع إلى القلعة حيث قابل الباشا القرمانلي، الذي كان في حالة من التهيج بسبب المعاملة السيئة التي لقيتها الأسرى الطرابلسيون، فتركه القنصل لحظة نفس فيها عن غيظه، ثم ذكره بأن الرهبان الإرساليين فرنسيين، وبأنهم موجودون في بلاده تحت حماية ملك فرنسا، ولذا فإن طالب بإطلاق سراحهم فوراً، كما طالب في نفس الوقت بتسليمه مفتاح الكنيسة فغضب الباشا مجدداً ورفض في البداية الاستجابة لمطلب القنصل، ألا أنه بعد ذلك اضطر الاستجابة لمطالب القنصل، شريطة أن يحرر خطاباً موجهاً إلى سلطات روما يطالبها فيه بالكف عن إساءة معاملة الأسرى الطرابلسيين⁽¹⁾.

وقد كان لهذا الانتصارات والاعمال الناجحة، التي احرزها الباشا ضد مناوئيه أثراً بارزاً في حياته، مكنته من أن يصبح - بالفعل - والياً على طرابلس.

(1) فيرو، شارل، مصدر سابق، ص 405.

المبحث الثاني: اهتمام أحمد القرماني بالشؤون الداخلية:

أما عن اهتمام أحمد القرماني بالشؤون الداخلية فنلاحظ أن نشاط أحمد لم يقتصر على الاهتمام بالحصول على فرمان التولية من السلطان، بل كان يعمل على تثبيت دعائم حكمه في الداخل وذلك بتطهير البلاد من عدد كبير من زعماء الانكشارية الذين كان يشك في ولائهم، وكانوا سببا فيما حل بالبلاد من فوضى واضطراب.

كما استطاع أن يقضى على حركات التمرد والعصيان التي قامت ضده في الدواخل، ولعل أخطر تلك الحركات هي التي قام بها علي بن عبد الله ابن عبد النبي الملقب بأبي قبيلة " سنة م1715⁽¹⁾.

والواقع أن هذه الحركة الجديدة كان لها - بسبب طابعها الديني صدى واسع مما جعلها تثير نقمة كل النفوس - وكان ابو قبيلة من ضاحية فاس، كان يعيش في طرابلس، فكان شاهد عيان لجميع الثورات التي وقعت مؤخرا في المدينة، فعن لذلك المراكشي أن يخلع بيعة القرماني وركبت رأسه فكرة القيام بثورة لحسابه هو، فأخذ يجوب القبائل مجند أحوله كل مثيري الشغب والتفت حوله العديد من قبائل الجبل الغربي بطرابلس وما أن شعر بأنه قد حشد عدداً محترماً من المناصرين، حتى توجه بهم إلى الجبل الأخضر ببرقة - مدعياً أنه هو المهدي المنتظر واتسعت ثورته حق شملت أودية الكموم جنوب شرق مزدة ومن ثم انتشرت في برقة.

ولقد أسبغت عليه هذه الصفة المقدسة مكانة مرموقة وسمعة طيبة أدت إلى نهوض البلاد كلها لشد أزره. وخرج أحمد القرماني لمقاتلة ذلك المهدي المنظر

⁽¹⁾ ابن اسماعيل، عمر علي، مرجع سابق، ص38.

المزعوم، فغادر هذا الأخير السهل وتوجه إلى الجبل الأخضر من جديد حيث أصبح من المستحيل اللحاق به والقاء القبض عليه.

وهكذا فقد قفل الجيش راجعاً دون أن يحقق نتيجة. وبينما كان الجيش معسكراً بمنطقة الزعفران قرب سرت، خرجت لطائفة من العساكر للصيد، فالتقوا عند البئر بجماعة من القناصة البادية، فقبضوا عليهم واقتادوهم إلى أحمد القرمانلى وأعترف هؤلاء الأسرى بأن ((المهدى المنتظر)) قد غادر الجبل وعسكر من جديد في السهل. فتوجه الجيش تحت جنح الظلام فوراً، وفاجأ معسكر الثوار من المكان الذى وصفه الأعراب، وكان هذا الجيش بقيادة أحمد القرمانلى نفسه لشدة خطورة هذه الحركة وسرعة انتشارها وتم أسر أولاد المتمردين وحريمهم وتمكن علي من الفرار من المذبحة التي دبرها أحمد بنفسه لهؤلاء المتمردين ووقع أخوة عبد النبي وقفل أحمد راجعاً إلى طرابلس منتصراً⁽¹⁾.

إن اضطرابات البلاد الداخلية لم تقف عند هذا الحد فإلى جانب الانتفاضات والثورات كان البؤس والفقر منتشرين في كل مكان في ظل الحكومة القرمانية، ففي حين أن سكان البلاد الداخلية كانوا يرفضون دفع الجزية المعتادة، كان مكان المدن قد تظاهروا وأحدثوا كثيراً من أعمال الشغب، ولما كان القرمانلى تعوزه النقود، ولا يوجد تحت تصرفه الا قوات عسكرية ضئيلة، بدا للجميع أنه لابد ملاق مصير من سبقوه من الحكام، وكان هذا رأى الكثيرين وهو الرأى الذى رده القناصل الأوروبيون في رسائلهم إلى حكوماتهم، أنه لن يبق قابضاً على زمام السلطة زمناً طويلاً، ولكن رغم كل ما كان يتوقعه الجميع فإن ذكاء البك الشاب،

(1) فيرو، شارل، مرجع سابق، ص 395 - 396.

وما كان يتصف به من حماسة ومقدرة ودهاء، قد مكنه من التغلب على جميع العقبات والصعوبات فأخمد كل محاولة لإثارة الفتن والتمرد⁽¹⁾.

وقد وجد أحمد القرماني المتميز بالحدز والفتنة والصرامة نفسه وجهاً لوجه مع جملة من المصاعب التي لم يكن يرغب في زيادة تعقيدها، وبما أنه كان محاطاً بالخصوم، فإنه كان يخشى في المقام الأول أن يتمكن الاتراك بالأخذ بثأرهم. بيد أن مواطنيه العرب لم يكونوا أقل مبعثاً لقلقه هم أيضاً، ولقد استنفذت الهدايا النفسية، التي بعثها الى الأستانة، أمواله، وكان عرب الدواخل مصممين في رفضهم دفع أية ضريبة من الضرائب ولم يكن الوقت قد حان بعد للقيام بما يحملهم قسراً على دفعها، ولم تعد سفنه قادرة على الخروج في الغزوات، حيث أن الترسانة كانت خالية من الأسلحة ومن قطع الغيار لإصلاحها، وكانت الفاقة تضرب أصابها في البلاد.

وعلى غير انتظار، وقعت مفاجأة سعيدة حلت أزمة القرماني ففي يوم 12 سبتمبر 1712م وصلت ان مرسى طرابلس ثلاث سفن حربية هولندية يقودها نائب الأدميرال (بيترسون PETERSON) وتقت المفاوضات بين الطرفين وكتمهيد للمفاوضات قدم بيترسون لأحمد القرماني مائة قنطار من البارود، وأربعة مدافع برونزية وغيرها من الهدايا⁽²⁾، وفي نفس الوقت تقريباً، أوصل قبطان سفينة من سفن جنوة، بحجة شحن الملح، الا أنه كان في حقيقة الأمر موفداً في مهمة سرية للتقدم بعروض سلمية هو الآخر ما وقد أهدى ذلك القبطان الإيطالي للقرماني

(1) ميكاي، رودلفو، مرجع سابق، ص 15.

(2) فيرو، شارل، مصدر سابق، ص 392.

أربعة آلاف قطعة نقد ذهبية، وكمية كبيرة من العتاد الحربي، ووعد بأن يثنى بإهدائه سفينة مزودة بستة وخمسين مدفعا⁽¹⁾.

وفي تلك الأثناء كان جذب الزرع يتزايد من ويوم ليوم، وبناء على طلب البنك، فإن قنصل فرنسا قام بمنح تراخيص سفر لسفن تجارية للتوجه إلى جزر الأربيل الفرنسية لاستقدام الحبوب، وهكذا فقد قدر للأهالي الا يموتوا جوعاً، ولكن في الدواخل كان الأعراب في حالة مدقعة من الفقر والجوع وهكذا فقد ثاروا من جديد معتقدين بأنهم سيضعون بذلك حداً لحالة بؤسهم، وفي إحدى الليالي وصل ثلاثمائة من فرسانهم تحت أسوار القلعة وطفقوا يطلقون صيحات تدعو إلى التمرد، آمليين أن يحدثوا بذلك تمرداً.

واستجاب لذلك النداء بعض الأتراك الذين ظلوا بالمدينة، غير أنه قبض عليهم في الحال وحملوا إلى سفينة طرابلس الملكية، بدعوى نقلهم إلى تركيا، لكنه بذريعة محاولة أولئك الأتراك القيام بتمرد على ظهرها فإن قبطانها - الذي كان قد تلقى أوامر سرية - قد قام بقطع رؤوس البعض وخنق البعض الآخر، ثم أنزل الباقين على الشاطئ حيث تم اغتيالهم⁽²⁾. ومن الأمور الداخلية الأخرى التي واجهت أحمد القرماني أثناء توليه الولاية مجاعة سنة 1713م حيث أثارت هذه المجاعة اضطرابات جديدة بالبلاد، حيث تقدمت جماعة من الفرسان الثوار في شهر مايو حتى وصلت قرب أسوار المدينة بحجة مناصرة محمد باشا، ولكن القرماني أحاط بجيوشه المنزل الذي كان موضوعاً تحت الحراسة، وأخطر محمد باشا بأنه أمر بإعادة رجاله الذين لا يقومون بخدمته المباشرة إلى صفتهم، ولكنهم في الواقع سيقوا إلى سفينة القيادة، وعندما اصل قائدها إلى أعالي البحار أعد مهم جميعاً بحجة أنهم

⁽¹⁾ فيرو، شارل، مصدر سابق، ص 392

⁽²⁾ نفس المرجع، ص 392-393.

حاولوا التشرذم والعميان. ثم أبعده محمد باشا من البلاد للقضاء على كل حجة للتمرد والعصيان. ثم أبعده محمد باشا من البلاد للقضاء على كل حجة للتمرد والعصيان، وعند ما استوثق أحمد القرماني من سيطرته على المدينة من الآن فصاعداً أستطاع فرض سلطته حق على سكان البلاد الداخلية.

واستقرت الأحوال في الولاية نسبياً وأخذت في التحسين، إذ جاءت بضع سنوات كانت المحاصيل الزراعية فيها طيبة، كما أن حاكم فزان قام بدفع الضريبة حتى عن السنوات السالفة، تلك الضريبة التي كانت تعتبر مبلغاً كبيراً، الأمر الذي جعل القرماني في حالة تسمح له بمواجهة التعهدات التي تعهد بها على نفسه، ومع هذا فإن الهدوء والاستقرار لم يدوماً طويلاً في البلاد⁽¹⁾. إذا أنه في الربيع 1733م اجتاحت المدينة وباء الطاعون، ومات فيه أكثر من 4 آلاف نسمة، وفي العامين التاليين قاست طرابلس كثيراً من الجفاف والمجاعة الناشئة عنه⁽²⁾. واستطاع أحمد القرماني أن يعتبر نفسه آمناً على عرشه في ذلك الوقت بعد اعتماده على قوة أهالي المنشية والساحل، الذين ظلوا ما يزيد على قرن من الزمان أقوى دعامة للأسرة القرمانية، الذين لم يكن عليهم أي التزام سوى تقديم الجيوش التي كان يطلبها منهم الباشا، للقضاء على أي قوة كان في استطاعتها أن تمنعه من إنشاء الدولة الجديدة. ولما كان الباشا بقدر ضرورة وجود القوات المسلحة لفرض سلطته على القبائل الضاربة في البلاد، لذلك أنشأ جيشاً من طوائف القولوغلية والعرب، كان يتألف عادة من ألف وخمسمائة فارس وستة آلاف من المشاة، وكان ممكن زيادتهم عند الضرورة زيادة كبيرة وذلك خلاف حرسه الخاص.

(1) ميكاكي، رودلفو، مرجع سابق، ص 17-18، 23.

(2) روسي، اتوري، مرجع سابق، ص 282.

وقد أستطاع الباشا بهذه القوات أن يفرض حكمه على قبائل الدواخل، و أن يبقى فزان تابعة له تدفع الضريبة وأن يخمد الثورات وأعمال العصيان والثورات التي تعددت في الأيام الأولى من حكمه - تلك الثورات التي تناقصت وأصبحت نادرة وأقل خطراً مع مضي الزمن - ومن جهة أخرى فإن الباشا لم يعرف فقط كيف يستفيد بمهارة من الخصومات التي كانت تفرق بين القبائل، بل أنه قد نجح بأنشائه الدولة الجديدة في إيهام الجميع أنه قد أنشأ حكومة مستقلة فعلاً عن أي نفوذ أجنبي، ولقد حاول أيضاً بقدر ما سنحت له الظروف وأحوال البلاد أن ينهض بالأحوال الاقتصادية في الولاية، إذ شجع الأهالي على زراعة الأراضي كم شجع التجارة.

كذلك شجع أحمد القرماني الأجنبي على الإقامة في طرابلس، وعلى إدخال بعض الصناعات فيها كالصناعات اليدوية كما أنشأ حكومة استبدادية مطلقة وأصبحت إرادة الباشا هي القانون الأوحد في الدولة⁽¹⁾. كما أستطاع أحمد القرماني أن يؤكد دعائم حكمه، وأن يركز جهده لبناء مجد دولته الفنية. فأهتم بالتجارة الداخلية والخارجية وشيد العديد من الفنادق لراحة التجار ونشر الأمن في ربوع البلاد، فاطمئنان التجار على أرواحهم وأموالهم أو أصبحت ليبيا نتيجة لذلك ملتقى النجار من مختلف الأقطار⁽²⁾.

الشؤون المالية:

أن للعهد القرماني شخصية اعتبارية ولوناً خاصاً معيناً، وأجواء تختلف في طبيعة تكوينها عن أي مظهر من مظاهر الحكم بليبيا، وهو يمثل الشخصية الوطنية والفكرة القومية المتحررة حيث هدف القرمانيين من تسلمهم مقاليد السلطة

(1) ميكاي، رودلفو، مرجع سابق ص 28-29.

(2) ابن إسماعيل، عمر على، مرجع سابق، ص 39 .

في ليبيا إلى تخفيف وطأة الاستعباد العثماني، وإظهار الشخصية الليبية واحيائها وانتشالها من بين الأتربة المتركمة عليهما حتى تلف على المجال العالي التغير قدميها وترى النور⁽¹⁾، ومن بين المجالات التي هدفوا إلى إبرازها من خلال هذا التغيير المجال المالي. والحقيقة أن اختبار أحمد باشا واليا على البلاد كان له أكبر الأثر في تحقيق هذه التطورات، وحيث استطاع أن يقر الأمن ربوع البلاد، أو أن يملي إرادته على جميع الدول الأوروبية التي كانت تسارع بإعطاء الاتاوات ووهب الهدايا لكسب رضائه فتحقق بذلك سلامة سفنها من اعتداء الأسطول الليبي عليها⁽²⁾. كانت الدولة في عهد أحمد باشا تحتاج إلى المال، وتمكن أحمد باشا من الحصول عليه من الغنائم البحرية التي يأتي بها أسطوله، ومن تجارة القوافل مع السودان وجباية الضرائب. ونظم بيت المال وحدد اختصاصاته، كان عهده خيراً كله وهناءة وحرية، واستقرار لجميع السكان وازدهاراً، للاقتصاد الوطني عقب الركود والكساد. ظهر ذلك جلياً من خلال الاسطول ودوره في الشؤون المالية، فامتلات خزائن البلاد بالمال، وانصرف الباشا الإصلاح والبناء فزود ميناء طرابلس بمورد مائي دائم لسد حاجة السفن وبحارتها⁽³⁾.

أن من أهم الأمور التي تطلبت ايجاد الحال في الولاية استرضاء السلطان وحاشيته، كذلك القيام بالمشروعات الإصلاحية، وصرف مرتبات الجند والموظفين، وإدارة شؤون الدولة، واستطاع أن يجد المال اللازم في الغنائم والتجارة مع ما كان يجمعه من ضرائب بسيطة من الأهالي مع تنظيم دخل بيت

(1) الراندي، محمد رجب ، مرجع سابق احد 7-8.

(2) عمر علي بن اسماعيل، الظروف التي أدت إلى احتلال على الجزائري لمدينة طرابلس الغرب (1793)م -

(1795)م ليبيا في التاريخ، بدون طبعه ومكان نشر تأليف، مجموعة من الباحثين ، من 289 - 290

(3) الراندي، محمد رجب ، مرجع سابق احد 47.

المال ومصروفاته⁽¹⁾. كان يشرف على الشؤون المالية ويتولى تصريفها الخازن دار وكان من اختصاصه العناية بإرسال الرسائل الرسمية والإشراف على ممالك الباشا، وكانت المصادر الرئيسية للدخل الضرائب على الواردات والصادرات وضريبة الرأس على بعض الأشخاص مثل اليهود والضريبة التي كانت تدفعها القبائل العربية بالداخل في طرابلس وفزان. وأنه لمن الصعب كثيراً (ذكر حساباً ولو تقريبياً لمقرار هذا الدخل، نظراً لعدم استقرار التجارة وتغير الإنتاج في البلاد بين سنة وأخرى⁽²⁾.⁽²⁾ من الوسائل الأخرى التي سعى إليها أحمد باشا لتوفير المال أعمال الجهاد وقد ترك أحمد باشا الحرية لرؤساء بحريته في التصرف، حتى ضد سفن الدول الكبيرة التي تقوم بينه و بينها معاهدات صداقة وتبادل تجارى، رغم علمه بضرورة عدم إثارة الدول الكبرى، ودفعها إلى اتخاذ إجراءات رادعة ضده. وهكذا استولى المجاهدون الطرابلسيون في سنة 1713م على سفينة فرنسية محملة بالزيت، أو جاء إلى طرابلس في العام التالي، الكابتن الفرنسي دوكنسة ((DUGUE SHE)) وحصل على ترصية مناسبة، وتجدد الصلح بين فرنسا وطرابلس سنة 1720م .

الملاحظ أن الهدايا النقدية، وكذلك هدايا المدافع والذخيرة، التي كانت الدول الكبرى تشتري بها السلم، في ذلة وصغار، إنما كانت تستخدم في إعادة تنظيم الأعمال البحرية. إلا أن هذه الأوضاع لم تستمر طويلاً سواء أثناء حكم أحمد القرمانلى أو من جاء بعده من حكام الأسرة القرمانلية. وعندما امتلأت خزائن الدولة بالأموال، وكثر تزوج الحكام من الأسيرات الأوروبيات اللاتي يقال انهن كن يعتنقن الإسلام، اختل توازن الدولة المالي من كثرة النفقات، وصعب على

(1) محمود، حسن سليمان، مرجع سابق ، ص 182 - 185.

(2) ميكاكى رودلفو، مرجع سابق، ص 30 - 31

الأمرء كبح جماح هذه الشهوات المندفعة التي لا تقف عند حد، فاضطرت الحكومة إلى الاستدانة لتنفيذ رغبات الأمرء، فاستدانت من اليهود والأهالي، والرعايا الإنجليز والفرنسيين واسرفت في فرض الضرائب على الممتلكات والتجارة حتى ضج الناس، وكثرت الثورات التي سببت في ازدياد الضائقة المالية على الحكومة.

وما من دولة اطمأنت إلى حياة الإسراف في النفقات، والانغماس في نعيم الحياة إلا كان ذلك سبباً في سقوطها، والعبارة سلطانها⁽¹⁾.

ومن الجدير بالذكر أن أعمال أحمد باشا لم تقتصر على هذه النواحي فقط وإنما شملت العناية والاهتمام بالعديد من الجوانب الأخرى في ولايته حيث قام بترميم الحصون والقلاع، وزاد عليها لصد أي هجوم مفاجئ، وأصلح قلعة طرابلس وجهازها بكل ما تحتاج إليه من مدافع ثم أسس دار الصناعة والسفن بالميناء (ترسانة) وقد عظم شأنها بفضل ما من سفن كبيرة متينة.

وأعتمد على العنصر الوطني في الجيش وإدارة شؤون البلاد، و بذلك فتح باب الخدمة والترقي أمام أهل ليبيا فأحبه الناس، خاصة بعد أن جعل اللغة العربية اللغة الرسمية، وهذا العمل من جانبه كان سنة طيبة نسج على منوالها من جاء بعده من أبناء أسرته⁽²⁾.

حيث استعملت هذه اللغة بدواوين الحكومة، وقد كتبت الوثائق والاوراق الرسمية والمعاهدات الدولية في عهده باللغة العربية مع ترجمتها الى اللغات الأجنبية. وقد استعان الباشا في تنفيذ برنامجه الحزبي بالأسرى الأوروبيين الذين

(1) ابن غلبون، مرجع سابق، ص 211 - 212.

(2) محمود، حسن سليمان، مرجع سابق، ص 189-186

اعتنق عدد منهم الإسلام بعد اطلاق دلالة على حسن معاملته ورفقه بهم، وعلى جاذبية الدين الحنيف وسموه⁽¹⁾.

ومن الجوانب التي أولى الباشا بها الاهتمام الخاص الجانب الحربي بولايته حيث أن القرمانيين قد أظهروا في بعض سنوات حكمهم اهتماماً جدياً بتقوية مرافق المدينة الحربية وذلك على النحو الذي يتناسب مع المركز الحيوي الذي أخذوا يحتلونه كقوة مرهوبة الجانب في حوض البحر المتوسط وبما أن جانباً كبيراً من نشاط اسطولهم البحري كان يوجّه إلى المغامرة والأعمال البحرية لذلك فإنه من البديهية أن تقوم تحديات ومصادمات بين الأسطول الطرابلسي وأساطيل أخرى. وكان أحمد القرماني يتوقع أن يكون نشاط اسطوله البحري رد فعل انتقامي مضاد يمكن أن تتلقاه المدينة في شكل قصف بالمدافع (وهذا ما تم فعلاً في عهده) لذلك فقد اهتم اهتماماً خاصاً بتقوية مركز المدينة الدفاعي ضد أي خطر يهددها⁽²⁾.

(1) الرائد، محمد رجب، مرجع سابق، ص 11.

(2) الكيب، نجم الدين غالب، مدينة طرابلس عبر التاريخ، د ط، د ت، ص 74 - 75 .

الفصل الثالث

سياسة أحمد باشا الخارجية

سياسة أحمد باشا القرماني الخارجية مع الدول الأوروبية:

استطاع أحمد باشا أن يجعل للبلاد شخصيتها الدولية، ومكانتها الخاصة بين غيرها من الدول، فكان لها العديد من السفراء في عواصم الدول الأوروبية، حيث كان طيلة حياته يعتبر نفسه مستقلاً في حكم ولايته عن الدولة العثمانية، وإن كان تابعاً لها من الناحية الأسمية فقط.

أ- سياسة أحمد باشا مع فرنسا:

من الدول الأوروبية التي دخل معها أحمد باشا ميدان التفاوض تارة، وميدان النزاع قارة أخرى فرنسا حيث إنه في معاهدة يوليو 1718م وضعت مادة تنص على تعمد الباب العالي بالزام كل من الجزائر وتونس و طرابلس بإبرام صلح مع النمسا وجمهورية البندقية، وكانت فرنسا ترى أن عقد هذا الصلح سيكون خطراً على تجارتها في البحر المتوسط، وكانت تحاول إبقاء العداوة بين الولايات الثلاث ضد امبراطورية النمسا والبندقية أو نتيجة القيام المغامرون الأفريقيون بتوسيع مدى حركاتهم فقد أسر المغامرون الطرابلسيون سفينة فرنسية محملة بالحرير، وقرر الباشا أن أمر السفينة" كان غنيمة قانونية، بعد ذلك أقلعت سفينة العيادة الطرابلسية وكانت تحمل ثمان وأربعين مدفعاً وأربعة عشر منجانيقا، أو التي كان السلطان قد أهداها إلى الباشا، من ميناء طرابلس متجهة إلى سواحل حقلية، فشاهدتها الفرقاطة وسان فنسنزو SAN.VIHCEHZO، من أسطول جماعة فرسان مالطة وطاردتها، وعندما لحقت بها نشب بينهما قتال فقد رجال سفينة طرابلس على أثره ثلث عدد رجالهم، واضطروا للاستسلام. وقد أثر ضباع أكبر وأحسن سفن الباشا فيه تأثيراً كبيراً، فصم على

الانتقام من جميع السفن التجارية لمختلف الدول، ورفض أن يتسلم احتجاجات الدول صاحبة الشأن وانكر عليها أية ترخية⁽¹⁾.

كانت هناك التزامات كانت قد فرضت على إيالة طرابلس الغرب من قبل فرنسا منذ سنة 1685م فكان القناصل الفرنسيون الذين يوجهون إلى طرابلس يشرفون على التنظيم الصارم (للكابيتو لاسيون) الامتيازات الأجنبية وعقدت معاهدة سلم مع فرنسا ولكنها تعرضت اكثر من مرة للخرق والنقض، ولم يتم التوصل إلى إرساء الصلح بين إيالة طرابلس الغرب وفرنسا الا سنة 1720م وعلى أساس مشروط معاهدة 1685م، ومن المهم التوقف عند أحد بنود هذه الاتفاقية والذي ينص على أن رهبان الهيئات التبشيرية ينبغي أن ينظر إليهم على أنهم من رعايا الملك الفرنسي يتمتعون بحمايته وتشرف حصافة الرهبان على ممتلكاتهم أيضاً.

كان أحمد باشا ينظر بعين الإعجاب إلى هذه الدولة الأوروبية العظمى وكان يسعى من جهته بكل ما لديه ليقم معها علاقات السلام⁽²⁾. وفي اكتوبر 1723م وصل إلى طرابلس مندوباً من السلطان العثماني يحمل إلى أحمد باشا أمراً من السلطان بضرورة عقد الصلح مع امبراطورية النمسا وجمهورية البندقية، فما كان من أحمد باشا إلا أن رفض هذا التدخل من السلطان العثماني أو أفهم المندوب السلطاني بأنه لذ يوافق على ذلك الا اذا تعهد له السلطان بدفع رواتب

⁽¹⁾ عمر على من إسماعيل، الظروف التي أدت إلى احتلال علي الجزائري لمدينة طرابلس الغرب (1973) - 1795م)، ليبيا في التاريخ، تأليف مجموعة من الباحثين، بدون طبعة، ومكان نشر ص 290 - 291. و ميكاكي، رود لفر، مرجع سابق، ص 36 - 37.

⁽²⁾ بروشين، ن- أ، مرجع سابق، ص ص 115 - 117.

جنده، وذلك لأنه أراد أن يتم هذا التفاوض مباشرة بينه وبين النمسا والبندقية بدون وساطة أو تدخل من الباب العالي كما عبر عن ذلك صراحة لهذا المندوب⁽¹⁾.

وفي شهر مايو 1724م وصل إلى مياه طرابلس أسطول فرضى كان يحمل إلى القسطنطينية سفير الملك الفرنسي وحاول قائد الأسطول أن يحصل من الباشا على ترضية عن أسر أحد السفن الفرنسية، و لكنه اضطر إلى الرحيل دون أن يحصل على شيء. ورغم المسلك العنيف الذي وقفه القرمانلى، وظهر فيه بأنه لا يتحدى الدول المسيحية فحسب، بل يتحدى سيده السلطان أيضاً.

إلا أنه كان يفهم ضرورة عدم التمادي في إغضاب السلطان وأهمية منع فرنسا من القيام بتوجيه حملة تأديبية على حكومته، تلك الحملة التي كان يعد لها الفرنسيون سخناً من الأسطول في طولون، والتي وصلت أخبارها إلى طرابلس وتحدث عنها الجميع. وسعى أحمد باشا للصلح مع الإمبراطورية النمساوية وجمهورية البندقية بأن أرسل محمد خوجة كسفير له في فينينا، وكلفه أيضاً المفاوضات بمدينة البندقية، أخذ يحاول إقناع الحكومة الفرنسية ويؤكد لها بأنه على استعداد لبذل الترضيات اللازمة.

ولكن هذه الحكومة قررت على أثر تصريح الباشا و الأخبار التي أبلغها إليها قنصل فرنسا أن ترسل أسطولاً إلى طرابلس في الربيع التالي لحل مختلف المسائل المعلقة، وتواصلت الأعمال البحرية، ثم لم تمض بضعة أشهر حتى وصلت من فرنسا أنباء تفيد بأنها تستعد نضع أسلحة بحرية خصيصاً للانتقام من طرابلس.

(1) ابن إسماعيل، عمر علي، مرجع سابق، ص 40 - 41.

وقام الباشا القرمانلى باستدعاء القنصل الفرنسي مارتان، وطلب منه أن يكتب سلطان فرنسا ويبلغها بأنه على استعداد لعمل كل ما يرضيها وبأنه لم يعد يرغب في إفساد العلاقات معها إلا أنه طلب إعطاءه فسحة من الوقت للوفاء بتلك التعهدات.

ووعده القنصل بالقيام بالوساطة، ولكن شريطة أن يكتب الباشا بنفسه إلى السلطات الفرنسية بذلك، آملاً أن تؤدي تلك الخطوة إلى نتائج طيبة. وبالفعل دخل الباشا في مفاوضات مع قنصل فرنسا انتهت بالتزام الباشا بمراعاة المعاهدات المبرمة، وأخذ على نفسه ألا يبادر أي من رعاياه بعمل عدائي ضد فرنسا أو أكد الباشا فيما بعد وعده الذي سبق له وأن وعده القنصل، إلا أن الباشا أخذ يماطل في الإيفاء بتعهداته، وبرر ذلك قائلاً ((أنني لم أصبح بعد في وضع يمكنني من الإيفاء بالتزامات، وذلك بسبب قلة المحاصيل)) وعندما أبلغ القنصل بكل هذه الأقوال، فإنه توجه إلى القلعة على الفور للاحتجاج على تلك النوايا السيئة غير أن جميع مساعيه ضاعت هباء منثوراً، وهنا أشار بعض المعادين لفرنسا على الباشا القرمانلى بالاستعداد للدفاع عن بلاده، وذلك بتشديد قلعة تشبه البرج في هيئته وأطلق عليها أسم ((الحصن الفرنسي)).

فتح باب التفاوض مرة أخرى بين الطرفين من أجل الاستجابة لمطالب ملك فرنسا، وبعد أخذ ورد بين، كلا الطرفين انتهت هذه المفاوضات كغيرها من المفاوضات السابقة معارضة الباشا عليها، وبأنه لم يعد هنالك أمل في التوصل إلى أية نتيجة⁽¹⁾،

(1) فيرو، شارل، مرجع سابق، ص ص 409 - 412.

تعرضت بحرية الحكومة الفرنسية لبعض الاضطرابات من قبل المجاهدين الطرابلسيين، ولكي تضرع الحكومة الفرنسية جداً لذلك النشاط الموجه ضد بحريتها وتجاريتها، قررت في سنة 1727م إعطاء درس قاسي للمغامرين بواسطة عمل تشترك فيه أساطيل شرق فرنسا وغربها، الا أن هذا المشروع باء بالفشل، بسبب جرأة المغامرين التونسيين الذين كان لهم دوراً حاسماً في هذه الأعمال⁽¹⁾.

استمرت المفاوضات والنزاعات بين الطرفين ((المغامرون الطرابلسيون، القوات الفرنسية)) إلى أن وصلت في سنة 1728م إلى حد الدخول في الأعمال العدوانية وإعلان الحرب بسبب المعاهدات المبرمة سابقاً بينهما وبسبب احتجاز الباشا لأسرى مسيحيين وبعض الأمور الأخرى، وبدأت قنابل الأسطول الفرنسي تضرب المدينة مبتدئة بقلعة الباشا، واستمر ضرب المدينة بالقنابل أربعة أيام متتالية، وكان الباشا مستميتاً في رأيه رافضاً الصلح أو الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين، ولم تنقطع هذه الأعمال حتى نفذت قنابل الأسطول الفرنسي واضطر للانسحاب، واستمر - بعد ذلك - البحارة الطرابلسيون في اقتناص السفن الفرنسية والتكيل برجالها، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً ولم تكن السفن الفرنسية لتجرؤ على الاقتراب من جنوب مالطة، أو أنها تسعى جاهدة لضمان سلامتها إذا مرت من هناك، أن الحكومة الفرنسية لم تستطع الاقتناع والموافقة على كل هذه الأعمال، وقد أخذت في الاستعداد للقيام بعمل حاسم بسبب الاعتداء على كرامتها وشرفها وسمعتها، ولتأمين الملاحة الفرنسية في البحر المتوسط. وانتهى وكيل وزارة البحرية الفرنسية إلى ضرورة الاستيلاء على طرابلس وقلعتها وتم التوصل إلى اقتراح مشروعاً العملة على المدينة وتدميرها، وسرعان ما بدأت الاستعدادات لتسليح أسطول جديد أقوى من الأسطول السابق وإعداد كل هو لازم للمشروع.

(1) ميكاكي، رودلفو، مرجع سابق، ص 39 - 40.

أثارت أخبار هذه الاستعدادات الكبيرة الشبهات والشكوك لدى الباب العالي، الذى كان يحتفظ لنفسه لدى الدول الأوروبية بالحق في اتخاذ الإجراءات ضد ولاته، ولم يكن على استعداد لأن يسمح لأية دولة من الدول الكبرى بتدمير المدن التابعة للباب العالي.

وقد طلب القبودان باشا تفسيرات من السفير الفرنسي عن هذه الاستعدادات فحاول السفير تهدئة قلق الباب العالي، وفى نفس الوقت الحصول على اعتراف يعطى لفرنسا حق تأديب حكومة طرابلس بالوسائل الملائمة. كما قامت الحكومة الفرنسية بنسوية هذا الأمر مع الحكومة التركية خشية إثارتها للتعصب الشعبي ضد التجار ورجال الدين الفرنسيين، وقد نجح السفير الفرنسي في الحصول على وعد من الباب العالي بألا يقوم بأي عمل مفاجئ ويبقى في انتظار الأحداث.

وأثناء ذلك صدرت الأوامر بالبدء في القيام بحملة نشيطة ضد المغامرين الطرابلسيين مما أدى إلى إيقاف نشاط المغامرين الطرابلسيين، والحاق الضرر بالباشا، فبدأ يميل أخيراً إلى التفكير في الصلح وإلى إرسال سفارة إلى فرنسا أو مما دفعه أيضاً إلى هذا الرأي وصول موظفين من موظفي الباب العالي أرسلهما السلطان إليه بأوامر لعقد الصلح مع الامبراطورية النمساوية ومع فرنسا.

ولكى يظهر الباشا إخلاص أغراضه ونواياه، لم يكتف بإعفاء رؤساء السخن الفرنسيين الأسرى من الأشغال الشاقة فقط، بل فعل كما هو أهم من ذلك إذ أصدر الأوامر إلى المغامرين من رجاله بعدم الاعتداء على السفن الفرنسية، وقرر بأن هذه السفر تستطيع من الآن فصاعداً الدخول إلى الموانئ التابعة لحكومة

طرابلس دون أن يقع عليها أي اعتداء. وأرسل سفيره محمد خوجة إلى فرنسا مزوداً بكافة السلطات لإبرام الصباح ولحل جميع المسائل المتعلقة بين الطرفين⁽¹⁾.

في أغسطس 1729م تم توقيع معاهدة سلام مع الطرابلسيون، وبعد أن حصلوا من أحمد باشا على الموافقة بإدخال مادة خاصة تنص على إجبار المجاهدين ((البحارة)) على أن يحصلوا على جوازات سفر من القنصل الفرنسي وهو ما كان يعنى وضعهم تحت الرقابة الفرنسية، وتم التنصيص في الاتفاقية نفسها على أن لا تتعرض سفن المجاهدين لمهاجمة القطع البحرية العسكرية الفرنسية⁽²⁾.

ب- سياسة أحمد باشا مع إنجلترا:

أما بالنسبة لسياسة الباشا مع إنجلترا فإنها تمثلت في عقد المعاهدات والاتفاقيات بين الطرفين دون وجود كثرة نزاعات مثلما حدث مع فرنسا حيث أنه في سنة 1715م قدم إلى المرسى أسطول إنجليزي مؤلف من خمس سفن، جاءت للتصديق على المعاهدات والاتفاقيات المبرمة مع طرابلس أو بادر الباشا القرمانلي إلى المطالبة بالهدايا المعهودة فاحتج الأدميرال الإنجليزي بأنه لم يعهد إليه بتسليمه أية هدايا أو أنه قادم لتجديد المعاهدات فحسب وأقدمت هذه الإجابة أحمد القرمانلي، فما كان منه إلا أن أصدر أوامره لرعاياه بعدم تزويد السفن الانجليزية بالفواكه والخضروات أو بأية حون أخرى، ولقد ظلت هذه الأوامر سارية المفعول طيلة الأيام الثمانية التي رست إثناءها السفن في ميناء المدينة، كما قامت إنجلترا سنة 1716م بتأكيد نصوص اتفاق سنة 1667م فأوفدت في سنة 1730م الأدميرال كافانديش CAVE NDISH، لتأكيد نفس نصوص الاتفاق السابق.

(1) ميكاكي، رودلفو، مرجع سابق، ص ص 50 - 62.

(2) بروشين، ن - أ، مرجع سابق، ص ص 118 - 120.

ج- سياسة أحمد باشا مع مالطا:

نشأت أيضاً خلاقات بين مالطا و طرابلس، وكان ذلك أمراً طبيعياً حيث كان من أهم أهداف نظام فرسان مالطا، مطاردة المسلمين. وفي بداية سنة 23 حرام استطاعت إحدى سفن مالطا القبض على سفينة طرابلسية، وبعد أيام قليلة من ذلك، عليم المرشد الأكبر لفرسان مالطا، ان سفينة تركية استولت على قارب تابع لمدينة جنوا وآخر تابع لصقلية كانا محملين بالملح، فأمر سفته بالخروج إلى عرض البحر والقيام بعمليات مطاردة للسفن التركية، كما تمت مهاجمة سفينة معادية، كانت في الواقع إحدى السفن الرئيسية لطرابلس، واضطرتها إلى الاستسلام واقتادتها إلى مالطا، بعد أن أخذوا رجالها أسرى، وكان من بينهم أسرو طرابلسيين. ومع كل ذلك فإن العلاقات بين الطرفين كانت طيبة إلى حد ما⁽¹⁾.

⁽¹⁾ روسى، اتوري، مرجع سابق، ص ص 283-285.

الخاتمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله محمد من الله وتوفيقه انتهيت من هذه الدراسة، والتي أنصح بها من خلال السرد التاريخي لمجمل الظروف التي ساعدت الأسرة القرمانية على حكم ليبيا من عام 1711م إلى 1835م، أن البلاد بقيت أثناء عهدهم جزءاً من أملاك الامبراطورية الثمانية، وذلك لأنهم لم يخلعوا من على كاهلهم عبء السيادة الثمانية فظلوا تابعين لها من الناحية الأسمية.

أحمد القرماني (1686-1754) كان انكشاريا أسس الأسرة القرمانية في إقليم طرابلس أو طرابلس بين عامي (1711-1835) أو ليبيا الحالية، ليحكم بين عامي 1711 - 1754- كأول باشا قرماني لطرابلس.

وكانت نهايته سنة 1589م عندما قبض عليه الشيخ ابن نوبر شيخ قبيلة المحاميد، لم تستطع ثورة يحي ولا الثورات التي تلتها، أن تضع حداً لظلم الولاية، فهذا محمد باشا الساقرلي الذي تولى حكم البلاد ما بين 1632م - 1639م لم يسلم من ظلمه حتى الموتى، ففي عهده كانت هناك ضريبة على الموتى، فإذا توفى الشخص فإنه. وأخيراً أرجو أن أكون بهذا الجهد المتواضع قد أسديت الحق وتحريثُ الصدق لكل معلومة وضعتها أو استشهاد انسه وأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا و ينفعنا بما علمنا وأن يزدنا علماً والحمد لله.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر:

1- ابو عبد الله، محمد بن خليل، ابن غلبون التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق الطاهر الزاوي، الناشر: مكتبة النور، طرابلس، ط2، 1967م.

2- شارل فيرو، الحوليات الليبية، ت - محمد عبد الكريم الوافي دار الفرجاني وطرابلس - ليبيا، ط 2، 1983م

3- النائب أحمد بك الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، الجزء الأول، مكتبة الفرجاني، ط2، د ت .

ثالثاً: المراجع:

1- ابن إسماعيل، عمر على، انهيار حكم الأسرة القرمانيّة، مكتبة الفرجاني، 1966م.

2- بروشين، ن - أ، تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف القرن السادس عشر - مطلع القرن العشرين، ت- عماد حاتم، طرابلس - الجماهيري، دار الكتب، ط 1، 1991م.

3- روسى إتورى، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ت- خليفة التليسي، دار الثقافة، بيروت - لبنان 1974 م .

4- الزائدي محمد رجب، ليبيا في العهد القرماني، دار الكتاب الليبي، بنغازي 1974م.

5- عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، د ط، 1969م.

6- ك. س. ماكلا كلان، "طرابلس وطرابلس: الصراع والتماسك في عهد القراصنة البربر (1551-1850)". معاملات معهد الجغرافيين البريطانيين، السلسلة الجديدة 3.3 (1978): 194-285.

7- الكيب نجم الدين غالب، مدينة طرابلس عبر التاريخ، بدون مكان النشر أو السنة.

8- لافي نورا، مدينة مغاربية بين النظام القديم والإصلاحات العثمانية. طرابلس 1795-1911، باريس، 2002.

9- محمود، حسن سليمان، ليبيا بين الماضي والحاضر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1962م.

10- ميكاي، رود لفو، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرماني، ت - طه فوزي، بدون مكان نشر، 1962م .

رابعاً: شبكة المعلومات العلمية العالمية:

1- "معلومات عن أحمد القرماني على موقع britannica.com. مؤرشف من الأصل في 11-09-2015.

خامساً: المقالات:

1- بن اسماعي، عمر على، الظروف التي أدت الى احتلال علي الجزائري لمدينة طرابلس الغرب (1793-1795)، ليبيا في التاريخ، تأليف مجموعة من الباحثين، بدون طبعة، ومكان النشر.